

نحوًا وانتشارًا حتى ملأت المكان الذي كانت فيه ثم اخذت تحط عن عظمها رويدًا رويدًا فقل عدد افرادها ولم تعد تبني ابرامها ولا تصلحها اذا تحزبت ولم يكن ذلك لان عدواً اعندى عليها ولا لان الرزق قل من امامها. وكان قد اشتق منها نخلة انشأت قرية في مكان آخر فاخذت نحو وتكثر حتى امتلكت الناحية التي كانت فيها وقامت مقام القرية الاولى ولعل سبب ذلك ان الجماعات عمراً محدوداً كما للانفراد فعاشت هذه الجماعة عمرها واخذت النخلة التي اشتقت منها ثم تولأها الضعف والاعطاش كما يتولى كل حي. وذكر الكاتب سلاتر انه رأى شجرة تسمى شجرة الغربان كانت الغربان تعشش فيها بكثرة فكان يرى فيها عشرون عشاً في الالفين ثم اخذ عدد العشان فيقول رويداً رويداً حتى بقي فيها الا عشان وذلك لان فراخ الغربان هاجرت منها الى شجرة اخرى تبعد عنها نحو ميل خارج المدينة لغير سبب ظاهر  
هنا ولا يزال البحث في طبائع الحيوانات فاصراً عن تعليل كل ما يبدو منها من الاعمال القرية

## طرق التحية واسبابها

اذا طالعت باب المسائل في المتنطف رأيت فيه لا أول وهلة ان العقل منطور على البحث والاستقصاء فيحسب لكل معلول علة ولكل شيء اصلاً ويوردان يعرف تلك العلة ويطلع على ذلك الاصل. ومن الامور ما يمكن معرفة علة وورده الى اصله على اسهل سبيل ابلانه حدث حينما كان الناس يتجهون الى ما يحدث امامهم وينبتون حدوده في بطون التاريخ او لان علاقة العلة بالمعلول ظاهرة واضحة ترى لاقل بحث. ومنها ما يصير رده الى اصله لحدوثه قبل زمن التاريخ او لانفصال العلة عن المعلول وخفاء الملاقة بينها او لغير ذلك من الاسباب. وشأن العلماء في عصرنا جمع الحوادث وترتيبها ونسبها الى اجناسها وانواعها وفصولها والبحث عن اسبابها وقد انفسوا الى طوائف بحسب مواضع البحث وواصلوا السعي والمجد ولم يتركوا شاردة ولا واردة فترى صفحات المتنطف اكبر دليل على ذلك فانها شاهدة بما يبذله العلماء من السعي وما يتجشونه من المشاق فهذا يسافر اربعة آلاف ميل ليعلم سبب انجاء الحياكل المصرية القديمة الى نقطة بين الشمال والغرب وذلك بطرف بلدان المشرق والمغرب يجمع شقف الخرف ليبتدل منها على من استنبط الدهان

اولاً وذلك بحجوب بلدان المتوحدين ليعتك في عوائدهم واخلاقهم وغيرهم يعنون عن  
 علة كل ظاهرة فلحكة وجوية وطبيعية وكبائية وكل حادثة عقلية او اديبة  
 وما استقصوا شوارده ورجعوا فيه عسما ان يتعدوا الى اصول طرق الحجية فلا معنى ان  
 الناس يستعملون في الحجية عبارات مختلفة وإشارات متنوعة ولكل منها اسباب شتى

والاشارات اما ان تكون مباشرة اي ان المحيي يباشر المحيا كالمصافحة للمعانفة واما  
 ان تكون غير مباشرة كالجثوة والعاظة. والاشارات المباشرة اما ان يستعمل فيها اللبس  
 او الثم او الذوق فن الاولى اي التي يستعمل فيها اللبس المصانحة وهي في الاصل الصافي  
 صفح الكف بالكف واقبال الوجه على الوجه والمعانفة وفي ان يضع الرجل يده على عنق  
 صاحبه وبضمة الى نفيه. والترتيب اي الضرب الخفيف او الدلك. فاهالي جزائر مرابانا  
 يحيي احدهم الآخر بلطم بطنه وذلك شائع عند غيرهم من الشعوب من الدائرة الشمالية  
 الى جزائر المحيط كأنهم يريدون تمسيد البطن لازالة الماء او لتسهيلضم الطعام فيه وغيرهم  
 يحيون بعضهم بعضاً بضرب اكتافهم او ظهورهم ولعل التطميع (التطيش) عندنا من هذا القبيل  
 ومنهم من يحيي غيره بمجذب اذنه. وفي كثير من البلاد الحارة يحيي الرجل صاحبه  
 بمسح جبينه بالماء او برش الماء عليه ويقول احدهم للآخر عند الحجية عساك تبرد. وبعضهم  
 يتفخ على اذن صاحبه. واساليب العناق في مصر والشام والعراق نجد والمجاز واليمن كثيرة  
 مختلفة والغالب فيها ان يقبل الرجل كنف صاحبه او يتظاهر بتقبيل. والقبيل الصحيح  
 في هذه البلدان غير كثير والغالب انه محدث

وانا رجعت واحد من قبيلة الابن من سفر سلم على الاحداث الذين ينفلون بوضع يده  
 على رؤوسهم وجرها على اكتافهم فأبديهم الى ان يصل الى اطراف الصحابهم كانه يجاول  
 توبيهم بالتم المغنطيسي. وكثيرون من الناس يكتمون بالاشارة من بعيد وقت التسليم  
 ويستعصون عن لمس من يطارحونه السلام بلبس ابدانهم فيفرك الواحد منهم وجهه  
 او انفه عوضاً عن ان يفرك وجه صاحبه او انفه ويفرك معدته عوضاً عن ان يفرك  
 معدة صاحبه. ومعلوم ان من طرق الحجية التي لم ترل شائعة عندنا وضع اليد على الصدر  
 فقد تكون هذه الاشارة مبدلة من وضع الرجل يده على صدر صاحبه وقد يكون المراد منها  
 الدلالة على القلب مصدر الحجية في اعتقاد الجمهور. اما مطارحة السلام بنظف اليد الى  
 قرب الارض ووضعا على الثم ثم على الرأس فالظاهر انها اكتفاه من اخذ ذيل المحيي وتقبيل  
 ووضعه على الرأس لان تقبيل الذيل لم يزل شائعاً حتى يومنا هذا

اما المصافحة بين الادي نعادة محببة وقد ظن الفيلسوف هيريت سببها ان اصلها  
مناولة كل من المتصافين ان يأخذ يد صاحبه ويقبلها ويؤيد ذلك ان الذين كانوا يتبادلون  
ايدي من هم اكبر منهم سناً او شأناً ثم ابطوا هذه العادة وصاروا يهزّون ايديهم هزّاً  
تدرجوا الى ذلك تدريجاً من اخذ اليد ونقلها الى جنبها وادانها من التمسك الي الاكفناه  
هزها . ولكن برد على ذلك ان المصافحة قديمة عند العرب ولا شيء فيها من الجذب والحزّ  
وكذلك المصافحة الشائعة عند السونانيين والبرابرة وهي قبض اليد باليد ونقل الانامل من  
اسفل ظاهرا الكف الى اعلاه ناعاً . والظاهر ان الغرض منها مجرد التمسك كائن الصاحبين  
يكتفيان بها عن ضم احدهما الآخر الى صدره . ويؤيد ذلك ان اهالي جزائر الاصدنا  
يتخذون المصافحة دليلاً على عقد الزواج او على المصادقة والمصافاة وينود شمالي اميركا  
وكثيرون غيرهم يتخذون المصافحة دليلاً على الصلح والسلام وكان ذلك معروفاً عند غيرهم  
من ايام الرومانيين القدماء الذين اوجبهوا على المتنازعين ان يمسك كل منهما يمين صاحبه  
قبل ان يقصا دعواهما تمهداً منها بالصدق في ما يقصانه . قيل وسي الحلف يميناً في البرية  
لانهم كانوا اذا تحالفوا او تعاهدوا ضرب كل واحد يمينه على يمين صاحبه

وبعض يشنون اصابعهم عند التحيّة ويضع الواحد منهم يده بيد صاحبه فتعلق اصابعه  
باصابعه ويجذب احدهما الآخر حتى تترقع اصابعهم ولعل المراد بذلك ان يمتنع السمع  
بالصوت كما تمتنع اليد باللمس

والتم مستعمل في التحيّة من قديم الزمان وامره مشهور في الحيوانات فانها تشام عند  
التلاقي . وقد ضعفتم حاسة الشم كثيراً عند اهالي اوربا واميركا ومن جاراتهم لاكثرهم من  
استعمال النبخ وما غيرهم من اهالي اسيا وافريقية واميركا فلم تنزل حاسة الشم قوية فيهم ويقال  
انه اذا جاء زائر الى بيت رجل كبير في بلاد سيام خرج خادم الرجل وشم رائحة الزائر  
فاذا وجد ان معة شيئاً رائحة خفيفة منعه عن الدخول . ومثود اميركا ينتسلون ويقبلون  
بيوتهم قبل دخول الضيوف اليها لئلا تشم منها رائحة غير طيبة ويندلمون . مثل ذلك قبل  
القيام بالاحتفالات الدينية

والسلميم بالانوف شائع في جزيرة زيلندا الجديدة وجزائر توما وتيني وتغا وهواي  
وفي اواسط افريقية ايضاً وهو يقوم بان يشم الرجل صاحبه والغالب ان الصديق يطيل شم  
صديقه ثم يديان علامات الاستحباب والرضى . والنهلق من سكان سيبيريا يركعون على ركبهم  
ويشم بعضهم بعضاً . والشام خصوصاً بين الاكفناه من اهالي جزائر الملاحة واذا التقى رضح

بمظنهم منهم اكتفي الرضيع بفرك انبوع وشم يد العظيم . وإهالي جزائر فيشم بشم الرضيع منهم يد  
الرفيع لا غير وإهالي غيبيا بمجي رجالهم نساهاشم بشم أيديهم . وإهالي جزائر الاصدناه يتشامون  
بان بفرك الواحد منهم انفة بانف صاحبه وإذا اراد احد ان يكرم صاحبه اغنله يده وفرك  
بها انفة ونف . وإهالي جزائر مريانا يشمون يد من يريدون أكرامه . وإهالي جزائر صدوج  
بمجي بعضهم بعضاً بفرك انبوع . وبعض أهالي انام يكتفون بالشم عن التقيّة ويحول احداهم  
للآخر دعني اشك بدل دعني اقبلك . وكذلك بعض أهالي الهند بشم بعضهم حدود  
البعض عند التقيّة . والزروفي بشم بعضهم أيدي بعض يبدل تقييلها ويعبرون عن ذلك بتولم  
انهم يتبادلون نفس الحياة

والذوق يملو الشم ويدخل نمحة التقييل . وكان التقيل شائعاً من قدم الزمان بين الرجال  
كما يظهر من تقييل كورش لجدده . وقد حاول بعضهم تقييلك برده الى لمس الحيوانات بعضها  
بعضاً ورد عليهم بانه غير شائع في اقطار المسكونة كما يظن لاول وهلة واكثر الشعوب التي تستعمله  
الآن لم تكن تستعمله في قدم الزمان وليس له كلمة خاصة في بعض اللغات كاللغة اليابانية . ولعل  
كلمة نفم في العربية من اللثم اي الانف وقيل من وضع الشيء قبالة الوجه لا غير . وقد شاع  
التقييل في اوربا مرة سقى صار الزائر يقبل كل نساء البيت الذي يزوره ولو كان غربياً عنهم  
ولم اليد قديم جداً ولعلّه اقدم من لثم الوجه والشم ويقال ان القاس شرعوا اولاً  
في تقييل الارض تقييلها الوضوح امام الرفيع ثم بتقييل القدمين ثم بتقييل الأقبال وتدرجوا  
الى تقييل اليدين فالوجه . ولكن ذلك غير مطلق لان هذا الترتيب قد يهكس . وذكر لثم  
اليدين في التوراة وذكره هوميروس وبلينيوس وغيرها من الكتابات

وكان الرومانيون يقبلون أيدي ملوكهم ثم استقبل القياصرة ذلك فحضرت الرعيّة  
تركع امامهم وتلثم اذيال اثوابهم . ثم عز ذلك على الرعيّة ولم يعد يباح الا للمقربين منهم  
وصار الباقون يركعون عن بعد ويقبل الواحد منهم يده . ولم يزل شائعاً في كثير من بلاد  
المشرق الى يومنا هذا ومنه وضع انامل باطن اليد على اللثم ثم على الرأس

ومعلوم ان الانسان يستعمل ذوقه للتمييز على جودة اشياء كثيرة او عدم جودتها فكانه  
استعمل اللثم دليلاً على انه ذاق الشخص الذي امامه فحكم بجودته ويبدل على ذلك انه  
يمحو رأسه بعد ذلك وحنو الرأس الى الامام علامة الايجاب والقبول فكان لمن يلثم يد  
صاحبه ويمحوه رأسه كن يقول له قد ذقتك فوجدتاك صالحاً . وسأني الكلام على الاشارات  
غير المباشرة في فرصة اخرى